

القديمة كل سنة الآ نصف مليون او ثلثا مليون فتكتفي بسك ما يدخل خزينتها وبذلك تبقى اسعار النقود الفضية مقاربة لاسعار النضة ويبقى التعامل بها راجحاً كالتعامل بالذهب وحبذا لو نظرت الحكومة المصرية في ذلك وجرت عليه فتبقى قيمة نقودها الفضية معادلة لقيمة فضتها ولا يحاول اهل التجارة سحب الذهب منها

## البرنس بسمرک

لا يعرف العلم ولا سيا اذا اشتهر اشتهار هذا الوزير الخطير الذي قبض على زمام السياسة الاوربية اعواماً طوالاً . لكن حقيقة الرجل لا تظهر لكل احدٍ ظهورها للثاند البصير . واخلاقه لا تستجلى في المقامات الرسمية كما تستجلى في بيته بين اهله وذويه حيث لا يرى الى التكلف سبيلاً . وقد اطلعنا منذ مدة وجيزة على نقالة بليغة للكاتب سمولي في جريدة المعاصر الانكليزية وصف بها البرنس بسمرک . وهو في بيته ادق وصف وقد كان لها وقع عظيم في النوادي الاوربية فرأينا ان نلخصها في ما يلي لان موصوفها حقيقى بان تبقى لها اوضح صورة في صفحات المقتطف . قال الكاتب ما محصلة

لما وهب الامبراطور ولهم فردر كسروه للبرنس بسمرک لم يخطر له انهما تكون واسطة لتقريب الاتصال بين البرنس والشعب الالماني . فان هذه القرية على نحو اربعين دقيقة من مدينة همبرج ولذلك يسهل وصول الوفود اليها من كل انحاء السلطنة الالمانية وهي بمثابة منبر يقف عليه البرنس بسمرک ويخطب منة ابناء وطنه . والمكان ليس منعزلاً تمام الانعزال ولا فيه من العظمة والنفخامة ما ينتظر في هبة امبراطور لوزير و هبة سلطنة . والمنزل الذي فيه كان سنة ١٨٧١ فندقاً صغيراً ولكن البرنس وسعته كثيراً بعد ذلك ويليهِ غياض واسعة جداً تبلغ مساحتها ثلاثين الف فدان مكسوة بالاشجار الغياض . وهذه هي الهبة حقيقة ولها في عيني البرنس بسمرک ارفع مقام ولا سيما لانه من المغممين بحال الطبيعة وما فيها من السهول والقياض

ولما وصلنا الى باب المنزل استقبلنا الدكتور كريستدر كاتب البرنس بسمرک ورحب بنا وكان البرنس قد دعانا الى الغداء معه ولكن القطار تأخر بنا قليلاً عن

ميعاد الغداء فوجدنا عائلة البرنس في غرفة المائدة فادخلونا اليها رأساً . فلما دخلناها  
تمهض البرنس وزوجته واستقبلانا وكانت زوجته اقرب الى الباب فحينئذ اولاً والعوائد  
الالمانية تقضي علينا بان نبدأ بتهيئة رب المنزل ولكن الالمان سمحون مع الاجنبي  
لا يواخذونه اذا خالف عوائدهم . وكانوا قد تركوا لنا كرسيين على جانبي البرنس ظناً  
باننا هو غرضنا من هذه الزيارة فجلسنا عليهما لتناول الطعام

وغرفة المائدة رحبة طولها نحو عشرة امتار وعرضها نحو سبعة وجدراؤها مغطاة  
بالصور وكواها تطل على الحرجات المنتشرة امامها والمروج التي بينها . وليس فيها شيء  
غير عادي سوى الكرسي الكبير الذي يجلس عليه البرنس بسمرك . ولم يكن معنا على  
المائدة الا البرنس والبرنس وزوجته وكوفته ونزوة ابنته وسيدتان اخريان .

ولما دعيت لزيارة البرنس بسمرك هذه التوبة اشترطت ان اكتب ما اشاء عما اسمعه  
واراه فلم اعارض في ذلك على اني لم ات لانتقل حديث البرنس ولا انا ناقل كل ما قاله وانما  
كتبت ما كتبت لان الناس اجمع يحبون الوقوف على آراء هذا الرجل العظيم وعلى  
وصف حاله . وقد رأيت مراراً كثيرة منذ سنة ١٨٦٦ ولكنني لم أراه قط الا لابساً  
اللباس العسكري سواء كان في يني او في مجلس النواب او في مجالس الحكومة او بين  
الجنود . فقد كان جندياً ولم يزل وسبقي كذلك الى المات ولا احب اليه من الجنديّة  
وهذا شأن اكثر رجال بروسيا فان الملكي محقر في عيونهم ومهما كان منصب الوزير  
فلا بد له ان يكون جندياً لكي يساوي اقرانه

وكان البرنس لابساً ثوباً اسود مزرراً الى عنقه لا وسام عليه ولا علامة فيه وهو  
عريض الاكتاف طويل القامة كبير الهامة تراه يملأ الغرفة كلها سواء كان جالساً او  
واقفاً . ولما لا فانا حين دخولنا هتت الينا وبش في وجوهنا كما يش المضيف في وجه  
ضيوفه وابدى اسفه لان الساعات في فردر كسروه لا تنطبق على ساعات سكك الحديد  
ووقتها المصطنع الذي اصطلح عليه تسهلاً للسفر ثم استدرك فقال " ولكننا نسين اهالي  
فردر كسروه نقضل الوقت الحقيقي " . وهذا شأنه في كل اطوار حياته فانه اتبع الحقائق  
دائماً ولم يعتمد على الظنون ولا طلب تحقيق الالمان

والبرنس بسمرك متعدد لا واحد . فان الرجل الذي يعرفه الجمهور ليس بالرجل  
الذي تراه في يني وبين ضيوفه فهو عند الجمهور لين العريكة لطيف المشر وديع الى  
الدرجة القصرى حليم مرموح ولكنه غير مغرط في مصالح نفسه ولا متفاض عن حقوقه

ولا غافل عن انذ زعيم رجال السياسة فلا يبذل آراءه بذلاً<sup>(١)</sup>. ورأسه ووجهه محروفاً عند الجمهور بصورة الفوتوغرافية الكثيرة ولكنها غير معروفين حقيقة. وقد حاولت ان اصفهما غير مرة وحسبت ان صورتهما راسخة في ذهني ويسهل وصفها ولكني كما نظرت اليه أرى معاني جديدة في وجهه لم أرها قبلاً. وهو لم يزل كما كان منذ سنين لان الشيخوخة غيرته ولكنها لم تذهب شيئاً من معانيه ترى رأسه متصباً بالانفحة والشمم كأنه جبار عنيد غالب الخصوم وغلبيهم ولم يبتد الآ الظفر. وشكله غير نجيف كأن الطبيعة صورتها كما تصور جبال الارض وقاراتها

وقد قال المصور لبناخ ان وجه البرنس بسمرك كامل لا يمكن ان يزداد عليه شيء ولا ان ينزع منه شيء. ولكنه ليس كذلك ولو كان كاملاً لكان "كالمه تقصاً" كما قال الشاعر تينسن. وما هو إلا وجه انسان غير عادي إلا انه يشف عن نفسه وعيناه كبيرتان زرقاوان برأفتان تظهر فيهما المهابة والسلطة والفضب والجنو والدكاء. واذا احقق بهما الى انسان استجلى ضائره حالاً وقد اشتهر بهذه الفراسة واليهما ينسب نجاحه في السياسة. واذا نظرت اليه حسبت انك تتلو تاريخ المانيا مدة الثلاثين سنة الاخيرة وقد تكلم معنا بالانكليزية فقط وهو يحسن التكلم بها ولكنه غير متأنق في عبارته فيميل الى لغة العامة واصطلاحاتهم حاسباً ان اللغة واسطة لا غاية وينقصه التمرن على هذه اللغة لانه فلما يتكلم بها أكثر من مرتين في السنة. واذا اجنحت عليه كلمة تأتي قليلاً فوجدتها وكانت في الكلمة الموضوعة لذلك المعنى تماماً. واذا رأيتهم يفتش في محفوظاتهم عن الكلمات المناسبة لفرضه حسبت انك تنظر الى الهمجانية البهيرة تتحرك اجزاؤها حركات محكمة لغاية واحدة. وكأنه يحسب ان آداب الضيافة تقضي عليه بان يكلم ضيوفه بلغاتهم فلم يكلمنا بغير الانكليزية وكذلك زوجته لم تكلمنا إلا بها مع انها تفضل التكلم بالفرنسية

وقد شاع عنه منذ سنين انه امر ان لا يتكلم احد امامه باللغة الفرنسية مع انه يعرف تلك اللغة كما يعرف اللغة الالمانية. ولما سأله عن هذه الاشياء انكرها بالاحتقار وقال "ليس من شأني ان اسن للغير آداب المعاشرة ولكني قد اعترضت مرة على استعمال اللغة الفرنسية في مجلس نواب بروسيا وفي الاشغال المتعلقة بالحكومة الالمانية". ولما

(١) المتخطف. ولورعير المسترسمولي العربية لتتل بقول شاعرنا الذي قال  
هبة في وداعة وانسباط في وقار ورقة في شهامة

طال مجال الحديث انطلق لسانه باللغة الانكليزية ثم اعناصت عليه عبارة ولما لم يعلم كيف يصوغها قال متبسماً "قد كنت في حين من الاحيان اتكلم اللغة الروسية وما زلت اقرأ بعض الجرائد الروسية احياناً" والظاهر انه تعلم تلك اللغة حينما كان صغيراً سيفي بطرس يرج سنة ١٨٥٩ لكن ذكرته قوية جداً فلا ينسى شيئاً مفيداً تعلمه

ولم يطل الحديث حتى غاص في بحر السياسة وكان كلامه فيها هزلياً في اول الامر محصوراً بفردر كسروه فقال "ان فيها اوزاً وبطاً وجرذاناً وقد تحالفت هذه الطوائف الثلاث على مواصلة الحرب والجلاد فالاوز يعتدي على البط ويحاول اكله او اكل فراخه والجرذان معادية الاوز والبط معاً ويصعب علي ان انشى دستوراً تسير بموجبه ليتمتع اعند اولها بعضها على بعض وتقلح كلها ويصعب علي ايضاً ان اقمعها بان السلم خير لها من الحرب ولا سيما الجرذان . وقد حاولت انفاذ مشيئتي كما حاولت انفاذها في مهام اخرى فكنت افلح مرة وافشل اخرى ولكن لا بد لي من ان اجرب كل الوسائل كما جربتني في وزارتي . ولا بد من فصل الاوز عن غيره كما ترى لانه الفريق الاكبر . ( ودار الكلام بعد ذلك على كثير من المواضيع السياسية ما ليس بسطة من موضوع المتكئف )

وقادنا الحديث والحديث ذو شجون الى الكلام على الجرائد وما تكتبه عنه فقلت له ان رينان جرى على قاعدة علمه اياها المسيو برنين مدير جريدة الديبا وهي ان لا يتجرى نقض اشاعة مما كانت ولذلك اشاع البعض عنه ان روشيلد دفع اليه مليون فرنك لتأليف كتاب حياة المسيح فلم ينقض هذه الاشاعة لعله ان الزمان ينقضها . والف بعضهم كتباً ونسبوا اليه لكي تروج وطبعوها باسمه فلم يتبرأ منها . فقال "ان هذا الا احتقار لرأي الجمهور فان كاتباً مثل رينان منقطعاً عن الاشتغال بالمهام العمومية يستطيع ذلك ولكن الرجل السياسي لا يستطيعه لان رأي الجمهور من القوى التي يعتمد عليها فاذا ساء ظن الناس به وجب عليه ان يصلحهُ والا لم يعد قادراً ان ينفعهم بشيء"

ومضى علينا ساعتان وهو يحدّثنا وينتقل من موضوع الى آخر بأسرع من لمح البصر فتبرق اسرته مرة وبقطب وجهة اخرى حسب مقامات الكلام واذا انتقد شيئاً رماه بعبارة اقطع من الحسام ثم جاء الدكتور كريستدر ونبيه الى انه حان وقت القيلولة يحسب امر الطيب فاعتذر الينا ونهض ليذهب الى سريره وكأنه يطيع امر طيبه كرهاً عنه . ومضى بنا الدكتور كريستدر الى الفياض فرأينا فيها من المناظر البديعة ما يعجز عن وصفه القلم وهي منزه البرنس بسمرك وعرائسه التي يغالي بحسنها فانه

مغرم بالاشجار والفياض كما تقدم. وذكر لنا الدكتور كريسندر حوادث كثيرة في هذا الشأن وما ذكره ايضاً انه ورد على البرنس بسمرك يوم عيد ميلاده تسعة آلاف مئة بين تلغرافات ومكاتيب وقد اجاب عليها كلها بيده فاستغرق ذلك نحو اربعة اشهر . ولما عدنا الى دار البرنس رأينا واقفاً في الرواق هو وعائلته وامامهم على بساط الارض الاخضر عدد غفير من تلامذة المدارس وهم يأكلون ويشربون ويضنون ويظربون والبرنس مضغ اليهم مسرور بهم ثم وقف واحد من معلمهم واريجل خطبة هاجزة وقال فيها مخاطباً التلامذة انظروا يا اولادي ما اجمل هذه المروج والفياض وقد كساها الريح رداءً هيباً ولكن اعلوا انه ان كان لكم وطن تحبونه وتبتهجون به بالسلام والامان فذلك من فضل هذا الرجل العظيم الواقف امامكم قال ذلك مشيراً الى البرنس بسمرك فدناى الاولاد بصوت واحد ليحس البرنس بسمرك وكرروا النداء مراراً . فلم يجهم البرنس بالكلام الفخيم من اعلى الرواق بل نزل اليهم بنفسه ووقف بينهم ووضع يديه على رؤوسهم وقال لهم اني اشكركم يا اولادي الاعزاء من صميم القواد واشكر معلمكم ايضاً وانصرف الاولاد في طريقهم ثم اقبل الدكتور شفينجر من برلين وتموظطية الخالص وبأتي كثيراً لبراد لان البرنس يشكو من مرض عصبي ولعله يجهد نفسه الآن بالاشغال العقليّة كما كان يجهدا وهو قابض على زمام الاحكام فيبقى هذا المرض مستولياً عليه . انتهى بالايجاز

## باب الزراعة

### التعليم والزراعة

من الاقوال الشائعة كثيراً في مصر والشام بل في البلدان الاوربية والاميريّة ان المدارس العاليه تضرر بالزراعة والصناعة لانها تربي الشبان على كراحتها وتطلب الوظائف الاميريّة والاشغال الكنيائيّة ونحوها مما يبيد الانسان فيه نظيف البزة ولا يعاني الاعمال المتعبة الا ان الناقد البصير يعجب من شيوع هذا الحكم مع انه لا يرى له اثراً في حال الزراعة والصناعة . فمن حين اخذنا ننظر في احوال البلاد الى الآن ونحن نرى الزراعة والصناعة في تقدم مستمر مع ان المدارس العاليه غاصه بالطلبة